ثَقبٌ في
ذاكِرتي..
لا يَكفي

وسام دراز

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع
رقم الإيداع: 27873/ 2019
تصميم الغلاف: أمير عاشور.
المراجعة اللغوية: أحمد جمال مدني.
الإخراج الفني: ضياء فريد.
المديـــر العـام: إيناس ناصر.
المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة.

Logarithpublish@gmail.com
01281052824

ثَقبٌ في
ذاكِرتي..
لا يَكفي

شعر

وسام دراز

إهداء

إلى طاوِلَتِي ذاتِ الكُرْسِيَّيْنِ.. إلى كُوبِكِ المُمْتلِئ الذي يُشارِكُ كُوبي الفارِغَ هذهِ الطّاوِلةَ.. إلى النَّادِلِ الذي يَسألُ كُرْسِيَّكِ المَهْجُورَ عَن رَأْيِكِ في عَصِيرٍ لم تَشْرَبِيه.. إلى انتظاري.. وإلى لِقائِنا المُؤَجَّلِ مُنْذُ شِتاءَيْنِ ونِصف.

إلى أبي: سُنبلةٌ تُعلِّمُ قَمحاتِها مَعنى الحياةِ، وتقولُ إن الرياحَ ليستْ إلا قارِبًا للنجاةِ، وإن المَناجِلَ لا تَجرحُ القمحَ الذي يُتقنُ التَّجدِيف.

إلى أُمي: بُقعةٌ صغيرةٌ من الظِّلِّ..

وصَحنٌ عليهِ رغيفٌ واحدٌ، وخمسةُ أكوابٍ مِن الشاي، وقيلولة.

إلى الحَنينِ: تلكَ المُباغَتةُ التي تُفقِدُنا الاتِّزانَ الذي نَصلُ إليه بعدَ كُلِّ صدمةٍ وتَجعلُ منه هامِشًا في حينِ أن مَن نَحِنُّ إليهِ يَحْتَلُّ المَتْنَ؛ نُفتِّشُ عنه ونَنسى ما لَقِيناهُ في حُضورِهِ السَّابق. الحَنينُ يَجعلُنا نَسعى إلى نفسِ الصَّدمةِ ونَفْسِ الهزيمةِ.. هو الدائرةُ التي يَدورُ فيها العِميانُ بَحثًا عن النُّورِ الحارِق.

سألتُكِ:

هل ستَكونين هُنا

عندما تنتهي الحربُ التي سأخوضُها لأجْلِك؟

هل تَستطيعين إثباتَ وُجودِك؟

لم تُجيبيني..

فلَم أحارِب؛

ولكنَّني شعرتُ بالهَزِيمة!

رجلٌ مهجورٌ.. وزائرٌ أخير

قُلْ ما تشاءُ عن الأماكنِ
فالمواعيدُ الغيابُ،
وقفتَ وحْدكَ مثلَ عُودِ القَشّ
تَهجرُكَ السنابلُ
لا تُداعبُكَ الرياحُ
ولا يَعُوزُكَ غيرُ عُشِّ الذكرياتِ
فهل ستَبكي الآن؟

دقَّ الوقتُ في عينيكَ مِسمارًا
وعلَّقَ فوقه صورَ الذين مضَوا
لتَرْقُبَ عَبْرَهمْ كَتفيْكَ في المرآةِ
لم يأتِ الغريبُ
ولن يُربِّتَ غيرُ كَفِّكَ

هل ستَبكي الآن؟
أم ستبيتُ هذا الليلَ خلفَ البابِ
تستبقانِ في صَدَأٍ وفي صمتٍ طويلٍ؟
كُلما دخنتَ سيجارًا
تذكرتَ الذين تَفَرقُوا مِثلَ الدُّخانِ
إذا تَلاشى تاركًا طعْمَ الحنينِ على الشِّفاهِ
ولسْعةً تحتَ الضلوعِ
فهل ستَبكي الآن؟

وحْدَكَ أنتَ
لا يَعنيكَ ما يَجري وراءَ البابِ
تَنتظرُ الغريبَ،
ولا تُغادرُ خلْفَ ما تَشْتَمُّ مِن عطرٍ
لأن الوردَ لا يأتي بلا طَرْقٍ على الأبوابِ
إلا كي يقولَ بأن هذا البيتَ مقبرةٌ
وإن الزائرينَ اسْتودعُوكَ

وقفتَ تنظرُ للجدارِ
تظنُّ أن الشرخَ شباكٌ
وأن الغائبينَ عناكبٌ
ستُطِلُّ ذاتَ فَراشةٍ
كم أنتَ وحْدكَ يا حزينُ!
فهل ستَبكي الآن؟
أم يؤذيكَ دمعُكَ
إن تَعانَقَ مِلحُهُ
ورأيتَ حِضْنكَ فارغًا
يا حَبَّةَ الملحِ الوحيدةَ؟

أنتَ تَجرحُني
ويجرحُ صمتُك اسْمي
ليسَ في عينِي سِواكَ
ولا أَرى إلا سَرابي في عُيونكَ
مِلْءُ نَظرتِكَ انتظارٌ
واللقاءُ هو الغيابُ
فهلْ أنا ميْتٌ
لأني الآن مِثلُكَ
صارَ يَجرحُني البكاءُ؟
بَكى..
ومات.

ارْتِطام

أمُرُّ على لِقاءاتٍ مُؤَجَّلَةٍ،
يُعَكِّرُني انْعِكاسِي مُفردًا في النّيلِ
هذا البدرُ يَنْقُصُهُ انْتِصافٌ
والنَّسِيمُ الرَّطْبُ تَنْقُصُ صَدْرَهُ رِئَةٌ
وظِلِّي عالِقٌ في الوَرْدِ
تَنْقُصُهُ انْحِناءَةُ قاطِفٍ
وأنا حَزينٌ
واللقاءُ مُؤَجَّلٌ
واليومُ ناقِصْ..!

فوقَ هذا النَّهْرِ وَحْدي
مَن سَيَلْمَحُ في انْحِداري
كيفَ يَبْكي الجِسْرُ
كيفَ يَفُوتُ في طَيْفي المُشاةُ
وأيَّ خَشْخَشَةٍ يُخَلِّفُ بائعُ البُوشارِ في صَدْري..
الجميعُ هُنا أَنِيقٌ
والرَّصيفُ مُمَهَّدٌ لتَجَوُّلِ الأعْيادِ والحَلْوَى
أقامَ الليلُ حَفْلَتَهُ
ولَكِنَّ اللقاءَ مُؤَجَّلٌ
وأنا الحَزينُ!
كأنَّ هذا الليلَ تَذْكارُ الحَنِينِ
وهذه النَّجماتِ أَقدامُ الذينَ يُسافِرُونَ لرَبِّهِمْ
والبَدْرَ مِنْديلٌ يُوَدِّعُنا بِهِ المَوْتَى،
انْتَظَرْتُكِ كيْ نَسيرَ معًا
كأوَّلِ عاشِقَيْنِ يُؤَوِّلانِ الليلَ في المَقْهى:

النُّجومُ مَقاعِدٌ مَرْصُوصَةٌ
والبَدْرُ طاوِلةٌ نُمارِسُ فَوْقَها حِضْنَ الأصابِعِ،
أنتِ تَبْتَسِمِينَ لي
وأنا أُفَكِّرُ في الشِّتاءِ
مَتى سيَمْنَحُ مِعْطَفي كتفَيْكِ؟
لكنَّ اللقَاءَ مؤجَّلٌ
وأنا حَزينٌ
لا أغانِيَ في أَواني الجائِلينَ،
ولا نُقُودَ سِوَى لُعابي،
مَن سيَلْمحُ في مُروري دُونَ أُنْثَى
كيفَ أَخْسَرُ رَقْصَةً
كانتْ ستُلْهي الجُوعَ عَنِّي؟
حِضْنُ قِرْطاسَيْنِ فوقَ الأرضِ يَجْرَحُني
ويَدْهَسُني انتِظارُ الباصِ
أن تَجْري يَدانِ أمامَهُ لرَصِيفٍ..

ارتدَّ المَساءُ على انتظارِي،
لا تَذاكِرَ للجُلُوسِ هُنا لأَرْقُبَ كمْ يُؤجِّلُني اللِّقاءُ بلا دُموعٍ
أو تَعامُدِ نَظْرَتَيْنِ
كأن هذا الحُزنَ ناقصْ!

لا تَخافي،
إن أتيتِ فقدْ نَفِرُّ معًا إلى أَقْصَى الضَّياعِ
إلى غِيابٍ كاملٍ
سَنَفِرُّ
لا نَدْري لأيْنَ
مُكَلْبَشَيْنِ بِبَعْضِنا:
قَلْبًا بقَلْبٍ
دَمعةً بوِسادَةٍ
كَتِفًا بيَدّ
نَجْري عَلانِيَةً
ونَسْتَبِقُ الأَبَدْ

لا حُفْرَةٌ في الماءِ تُوقِفُنا
ولا عَن رُوحِنا العَذْراءِ يَنْبُشُنا أَحَدْ...

أوْ لا تَعُودي
لا تُلاقِيني؛
لأَنّا قدْ نَطيرُ مَعًا بغَيْرِ تَلَفُّتٍ للأرضِ
يَجْمُعنا لقاءٌ ناقِصٌ
سَيَمرُّ صَيَّادٌ لمَنْزِلِهِ سَعيدًا تَحْتَنا
وسأَلْتَقي بالأَرْضِ وَحْدِي
كيْ يَصِيحَ دَمي:
انْظُرِي!
هذا ارْتِطامٌ
أو
لِقاءٌ غَيْرُ ناقِص.

بَعْث

غابَ الدُّخانُ لِلحْظةٍ،
أغمدْتُ بارُودِي
وقلتُ: اسْتَلَّ يا صاحِ القصيدةَ
سُترتي مفتوحةٌ.. والصدرُ عارٍ،
قالَ: وَلِّعْ لي، فوَلَّعْتُ....
ابتسمنا
ثُم قاطعَنا عِيارٌ طائِشٌ
ورَمَى أَمامِي صاحِبي
سبَّلتُ عَيْنَيْهِ.. وسَبَّلَ دَهْشَتي
لم يَنْتَبِهْ لوَفاتِهِ..
حتَى أنا لم أنتبه،
ماتَ المُدَخِّنُ
ثم أكْمَلَتِ القصيدةَ قِطعةُ السِّيجار.

الزَّيت

_ترسمْ؟
نعم،
أو أُنَدّي شهوةَ الحَجرِ
_هذا البوارُ وهَذِي عُلبةُ المَطَرِ

_ماذا سترسمُ؟
أرضًا لا تُقايِضُنا بمَشرقينِ
لنَنْسى ضِحكةَ القَمرِ

وغابةً لا تُعرّي سِرَّ غَيْمَتِها
ولا تُحَدِّثُ حَطَّابًا عَن الشَجَرِ

وشارِعًا دائِريًّا حولَ بَلْدَتِنا
حتَّى يَمُرَّ علَينا البيتُ في السَّفَرِ

وصائِدًا يَرسمُ الغِزلانَ مَيِّتَةً
لكيْ يَصِيدَ لها رُوحًا مِنَ الصُّوَرِ

وقلبَ بحْرٍ بِلا ذِكْرَى تُؤَنِّبُهُ
لأنهُ ماتَ
لم يسمعْ لمُنْتَحِرِ

سأرسمُ الناسَ فخَّارًا وأَكسِرُهُ
لتهربَ الرُّوحُ مِن زِنزانةِ البَشَرِ

مشنقة (١)

إنّي ذَبحتُ ابنِي
بأول مَولِدٍ للأُمنياتِ.. حبيبتِي،
أنتِ النُّبوَّةُ هذهِ اللحظاتِ فى قلبِي النبيّ
و هذه الصحراءُ لي،
هل تَقْبلينَ الموتَ قُرْبانًا؟
_ نعمْ
هيا.. اذبَحينِي ناظِرًا للسيفِ
مَفكوكَ اليدينِ
ولنْ تُعاتبني ملائكةُ النهايةِ
حين أُسأَلُ عن هواكِ؛
لأنَّنِي
أحببتُ إذ أحببتُ.. لكنْ

لم أُنفِّذْ فيكِ رُؤْيَا الذَّبحِ..
لمَّا جاءَ بِي جِبريلُ لِي
أسقطتُ سِكِّينِي بكفيكِ
انذَبحتُ
لتفهمي أني أُحبُّ،
و كيفَ أن الحُبَّ يَقتلُ حامِلِيهِ
بكُلِّ وُدّ.

الرحلةُ ذاتُها
والمُسافِرُ آخر

إذا ظنَّ بَعْضَهُما الضَّائعانِ سَرابًا
على شارعٍ في البلادِ البَعيدةِ
ألا يكونَ وحيدَ المُسافِرِ،
أيضًا على رِحلةٍ فيهِ
ألا تَطُولَ
وألا تَزيدَ عنِ الماءِ في قِرْبَتَيْنِ
ستُكملُ واحدةٌ أُخْتَها
في لقاءٍ وَشِيكٍ.. يقولُ:
بلا شَمعةٍ
عَمِّدُوا بعْضَكم بالعناقِ
وسِيرُوا معَ العُشبِ.. لا فوقَهُ

يَنبُتِ الوردُ
مُحْتَفِيًا بالذي سوفَ يَقطفُ،
صَلُّوا لمَن سوفَ تُمْطرُهم غيمةُ الجُوعِ
قولوا لهمْ
إن للأرضِ وَجْهَ المُشاةِ
فلا تَرْحلوا قبلَ أن تألفُوا وجْهَنا
هَكذا
تَحفظُونَ الطريقَ إلى بَيتكمْ..

وعلى شارعٍ في البلادِ القريبةِ
ألا يكونَ بهذا الهدوءِ
ليُمسكَ شُرطيُّهُ
بالظلالِ التي سوفَ تَهْجُرُ صَفْصافَها في المساءِ
مُمنيةً شجرًا آخرًا
بعَطاشَى البلادِ البعيدةِ،
لكنْ على بالِ شُرْطِيّهِ أن يكونَ طويلًا
لأن الظلالَ التي وَرِثَتْ خُطوةَ الفقراءِ

ستَمرضُ إن لزِمتْ بيتَها،
وعليهِ إذا رَجعَتْ
أن يغادرَ خِدمتَهُ ويصيرَ بسيطًا
يُعلّمُهُ الحرُّ طَعمَ الجلوسِ إلى الظلِّ
والشَّايَ كيفَ يكونُ جَميلًا
إذا رَضيتْ عنهُ نِيرانُهُ
وإذا سامَحَ النَّارَ ساكِنُها الحَطَبِيُّ،

وحتى يكونَ الزمانُ
خفيفَ الوُلُوجِ إلى نُطَفٍ سَوْفَ تَأْتي
وحُرَّ الوقوفِ على خَطأِ الموتِ
في شرْحِ مَنْزِلِهِ للنَّزيلِ الجديدِ
وبارَّ الغروبِ بعَيْنَينِ فيهِ
تَبَنَّيَتا ضحكةً في المدَى
منذُ كان ابنَ شمسينِ
كان على شارعٍ في السَّما الأوَّليةِ
ألا يُدَلِّيَ أشجارَهُ للفَتَى.. قَضَمَتْهُ!

وشَمَّتْ بفُخَّارهِ الماءَ
فاسْتندَتْ بجُذورٍ على الأرضِ فارغةٍ
ظنَّها الطيبونَ شوارعَ مِن قصَبٍ
فمَشَوْا واسْتحالوا أغانيَ..
مِن ذلكَ الإلْتباسِ
اقتفَى أولُ الخلقِ ظِلَّ الهواءِ
كأن الشوارعَ نايٌ طويلٌ
وتلكَ البيوتَ على الجانبينِ ثقوبٌ،
بلا عازفٍ
أكمل اللحن رِحلتَهُ
للخروجِ الأخيرِ
فلم يَرِثِ الذَّنبَ إلا الرياحُ
ولمْ يَرِثِ النَّارَ
إلا الحَطَب.

رَقْصة

في الشَّارِعِ المَزْحومِ باللا شَيءَ
يرقصُ عاشقانِ،
ويَعبُرانِ إشارةَ الدُّنيا بأسرعِ غِنوةٍ
ليُسجّلَ الشُّرطيُّ رَقْصَهُما مُخالفةً
على كَتِفيهِ صَبَّتْ كَفَّها.. فاخْضَرَّ
نَبَّتَ ساعِدًا.. وامْتَدَّ
عرَّشَ خَصْرَها..
وتمايَلا
كحديقةٍ أُولَى
يُراقِصُ كَرْمُها زيتونَها في الشارِعِ المُمْتَدِّ..

أَيْقَظَتِ المدينةُ بَحْرَها:
غادِرْ سَرِيرَكَ؛
..سوفَ نَرْصفُهُ ليتَّسعَ الطريقُ لرقصةٍ

فتحَ الهواءُ سجونَهُ للريحِ
فرَّتْ منهُ..
وامْتَطَتِ الغمامَ أصابِعًا.. فجَرَى

على سقفِ السماءِ بأَرْجُلٍ مَطرِيَّةٍ..
فتَصدَّعتْ!
نشَعَتْ ملائكةً مُمَوْسقةً
على رأسِ الحديقةِ..

شَبَّتِ الصحراءُ،
مَدَّتْ كفَّها للَّيلِ
فاشتعلتْ وطارتْ..
شبَّكَتْ كلُّ النجومِ كفوفَها حولَ الحديقةِ

أصبحتْ تَكعِيبةً
والليلُ بُستانِيَّها!

ارتفعَ الستارُ ولم يعُدْ؛
فالكونُ أصبحَ مَسرحًا..
والعاشقانِ سيُكملانِ الرقصَ في وضحِ الخَضارِ،
فلا الجَرادُ يُحَبِّذُ الوردَ الذي يَمشي
ولا السَّوْساءُ تَنْخُرُ غيرَ جافٍّ،
رقصةُ العُشَّاقِ تَحرسُها الطبيعةُ
من سيُوقِفُها؟
ومن يا ربُّ يمنعُ خَلْقَها..
ومَذاقُ هذا الطِّينِ مُوسيقَى
ونَفْخُ الروحِ رَقصة؟

زَهرةُ الثَّلج

صَديقَيْنِ كُنَّا،
وكانَ على لَسْعةِ البردِ
ألا تكونَ صديقةَ حِضْنٍ
تَمَنَّتْهُ أَضلاعُنا في اللقاءِ الأخيرِ..

لأنكِ أجملُ مِن وردةٍ
لم أُجرِّدْ سِواكِ مِن الشوكِ
فانتَظريني على بابِ عِطْرِكِ
سوفَ أعودُ
بلا أيِّ مُشكلةٍ في اشتِمامِكِ وَحْدَكِ
لا في يَدَيَّ مَناجِلُ
أو نِيةٌ لاقْتِطاعِ الحديقةِ،

فاقتَرِحي مَوعِدًا آخَرًا
لا أكونُ أنا فيهِ حَطَّابًا
اقترِحي خُطَّةً
لا أدوسُ على العُشْبِ فيها
ولا أَقطعُ الوقتَ
والطرُقَ المُستحيلةَ حتى أراكِ
وأَنْدَمَ بينَ يديكِ
على ما اقترفتُ مِن الفَحْمِ والدِّفءِ..

هذا المساءُ كَثيفُ النجومِ
فلا تَشربي بُقْعَةَ الظِلِّ
إني أُريدُكِ باردةً في إنائِيَ يا زَهرةَ الثلجِ،
فالليلُ أَدفأُ مِن رَغْبَتي في ارتشافِكِ
والعُمْرُ أَقْصَرُ مِن قَفْزَتي
نحوَ غَيْمِكِ في الأبَدِيَّةْ..

تَعالَيْ
كمَا يَنبغي للحياةِ التي لا تَجِيءُ:
سنجلسُ في صُدفةٍ
رتَّبَتْ نَفْسَها
وأعدتْ لنا مَقْعَدًا
مَقعدَينِ.. ثلاثةَ....
أو ما سيَكفي الذين سنُنْجِبُ من أغنياتٍ؛
فماذا يكونُ الزِّحامُ
إذا لم نَكُنْ بادِئَيْهِ؟

وكيفُ تكونُ البدايةُ أحلَى
إذا لم تَكُنْ صدفةً لا تَخُونُ؟

عليَّ أنا أن أكونَ شتاءَكِ
فاسْتعجِليني لِكَيْلا تَذُوبي..
عليكِ المساءُ..
عليَّ النجومُ وزاويةٌ لا تَرانا
عليكِ الرياحُ..
عليَّ امْتِثاليَ للبَرْدِ ما دامَ منكِ
عليكِ السلامُ
عليَّ يداكِ
عليكِ يدايَ
نُراقصُ مَوْعدَنا في العَراءِ
وإن ماتَ مِنا رَقَصْنا عليهِ..
نسيرُ إلى نظرةٍ لم نَكُنْ طَرَفَيْها

تَقولينَ: تَعرفُني؟
فأقولُ: وأَعرفُ أنكِ لستِ مَعِي الآنَ؛
كيفَ أُلاقِيكِ مِن دُونِ حَربٍ
يعيشُ الجميعُ بها وأموتُ؟
وكيفَ أُلامِسُ ثَغْرَكِ
قبْلَ هتافِيَ في ثَوْرَةٍ
لستُ فيها الشَّهيدَ الوَحيدَ؟
وكيفَ سأحميكِ مِن لَعنةِ الثَّأرِ
ما دُمتُ في كُلِّ لَيلٍ أُقدِّمُ نَعْشي
إلى غابةٍ كنتُ حطَّابَها الأبَدِيَّ
ومنذُ مَشيتُ إليكِ
وكلُّ الغُصونِ تُطارِدُني بالسّكاكينِ؟

كمْ موتةً يَنبغي أن أخوضَ
لكي نَلتقي؟!

لستِ أنتِ التي الآن تَعْكِسُني عينُها
كيفَ ألقاكِ من قبلِ مِوتي مِرارًا..
وبَعثي مِرارًا
لأُصْلحَ ما أفسَدَتْهُ المسافةُ بيني وبينَكْ؟

أجَلْ أشتهيكِ..
ويوقظُني الشَّوقُ في زَمنٍ آخَرٍ
أنتِ فيهِ مَعي
نَسْتَقِلُّ بِلا ثالثٍ مِصْعَدًا
تتجرأُ فيهِ عُيوني
وتَمسحُ نَهْدَكِ مِن رَعْشَتَيْهِ..
فتحتُ ذِراعي
اقتربتِ
وقَبْلَ العناقِ

وصَلْنا إلى غُرفَتَيْنا
بلا حادثٍ
غيرِ حَبَّةِ ماءٍ
هوَتْ مِن يَديَّ مُباشرةً
عندَ أُخرَى رَمَتْها يداكِ
تعانَقَتَا بعدمَا رُحتِ عنِّي
وأَنْجَبَتَا وَلَدًا وفتاةً
يُقِلُّهُما مِصْعَدٌ لا يُجِيدُ الوصولَ،

أُريدُكِ في زمنٍ
ليس يَغتابُنا فيه حُزنٌ
ولا تَترقَّبُهُ رِيشةُ العَدَميّ،
ألاقيكِ في بالِهِ
خلفَ سُورِ المَجازِ
تَسيرينَ خَلْفي

تَسيرينَ فيَّ.. مَعي....
زمنٍ لا تكونُ القصيدةُ فيهِ لقاءً
ولا تتحولُ فيه السماءُ هَدايَا،

بسيطًا أريدُ حُضورَكِ
أَنْسَى بهِ أنني شاعرٌ
وأصارحُ قلبي بأني فقيرٌ.. وأحلمُ
أن الكتابةَ ليستْ تُؤَكِّلُ عَيْشًا.. وأكتبُ
أنكِ لستِ معي.. وأُحبُّكِ؛
لا شيءَ في الحُبِّ
أعظمُ مِن أن أكونَ بسيطًا
وألا تكوني بَعِيدَهْ
لأنكِ يا رِحْلةَ العُمرِ
أبلغُ من أن تَكوني قصِيدَهْ،

عليكِ السلامُ
عليَّ يداكِ
عليكِ يَدايَ،
سأَهرُبُ منكِ إلى واقعي.. فاتبَعِيني
إذا مرَّ فيَّ الشتاءُ
وذُوبي.

مِشنقة (٢)

أحتاجُ ناصِيةً
أُقابلُني عليها صُدفةً..
لأُعيدَ مَعرفتي وتَرتِيبي بِذاكِرتي
وأسأَلني:
لأينَ تركتَني؟
تبدو المدينةُ في عيونكَ..
هل شوارعُها تَضيقُ بحالمٍ كالريفِ؟
هل سقْفُ المدينةِ آمنٌ
لنَدُسَّ فيه الليلَ؟
هل شمسُ المدينةِ لا تموتُ كما سمِعنا
هل تمرُّ على الجميعِ؟

هل استلمتَ البَدْرَ مِن ضِمْنِ المُرتَّب كامِلًا،
أم أنهم قَصُّوا مِن الشهرِ
احتمالَ خطابِ سيدهم....؟
ولم أكملْ حَديثي
....
ضَمَّني
وَضعَ الحقيبةَ في يدِي،
وأشارَ للأرضِ البعيدةِ
ثم أفرغ جَيْبَهُ المَثقوبَ في رَأسِي
وقبّلَنِي على قَلبي
ومات.!

الدائرة

(إلى فيلم الزَّمار وإلى روح نور الشريف)

ستَقولُ دائرةٌ لراسِمها:
إذا فَسَّرتَني
فالشمسُ
مثلُ الخُبزِ في نظَرِ الفقيرِ.. شَهيةٌ
لا الغيمُ يَحجبُها
ولا الموتُ المُحاصِرُ،
نظرةُ البسطاءِ بنتُ بَياضِها
فيها الحياةُ
كما أتتْ مِن بطنِ صُدفتها
يسيرُ الربُّ فيها دونَ واسطةٍ
ولا حرسٍ سوى الإنسانِ

يأتيها الشتاءُ
فيرقصُ الجوعَى
على نَقْرِ السحابةِ فوقَهمْ
مُستحلِفينَ الأرضَ
بالطينِ الذي كانُوهُ
أن تُلقي إليهم نهدَها
ومُرابِطينَ على عيونِ النهرِ
كي يُلقوا بنَظرتِهِ على عُشبٍ وَشيكٍ،
ثم يَنْسرِقُ الشتاءُ
مُخلّفًا مَن عانقُوهُ بلا ذراعٍ
يَحضنون بجُرحهمْ
ويُلوّحونَ بِدمعِهم
ويُخَصّبونَ الشمس في تابوتِ أُمّكَ؛
كُلما حمَلوهُ
مَرَّتْ فيكَ ألْفُ جنازةٍ
كدَوائرٍ لا ينتهي فيها البكاءُ

فهل تراني كلَّ حُزنٍ
أم تَدورُ لكي أراكَ.. وأنتَ تَبكي:
دمعةُ الفقراءِ يا أمي
رغيفٌ مالحٌ
وتَبَسَّمُ الفقراءِ يا أمي غَمُوسٌ
قُلتِ: صاحِبْهُمْ
وأطعِمْهم خيالَكَ
حيث لا رَبٌّ هناكَ سواكَ يَرزقهُمْ
ولا وَحيٌ سِواكَ
فلا تَغِبْ برسالةِ الحَلْوَى،
مَجازُكَ عَرشُكَ الأبَدِيُّ
يا ربَّ الجُنونِ
ويا أَبَا الفقراءِ وابنِي،
قلتُ: يا أمي أَجوعُ
_ إذًا سترحلُ مِن جديدٍ في صراخِ الأنبياءِ..

هناكَ لا تَتَمَشَّ إلا مُمسِكًا نايًا
وسُنبلةً.. ليَتْبَعَكَ الحَزانَى
كُلما طافُوكَ متَّ
وكلما هجروكَ أَحْيَتْكَ الدوائرُ.. ضُمَّهُمْ
وابدأ قصيدكَ يا قَصيدِي البِكْرَ
فالفقراءُ ينتظرونَنا،
دَعْهُم لحَرْفِكَ يَلْتهونَ بِهِ عنِ الذِّكرَى
وعنْ وَلعِ المَماتِ بِهِمْ
فإن شَبِعُوا مَجازًا يا فتَى
ماتوا بفرْحٍ واقِعيّ..

قلتُ: يا أمي أجوعُ
وجائعٌ لا يُشبع الفقراءَ يا أمي
ولكنَّ القصيدَ الوغدَ ألَّهَني
وكم تاقُوا لآلِهَةٍ
تُرَبّتُ فوقَ دَمعتِهِمْ

وتعبرُ مَعْهُم الأسواقَ

بائسةٍ

تُشاركُهم بَريقَ الخُبزِ

حينَ يُغازِلُ الأحْداقَ

يا أمي

فقيرٌ مِثلهم شِعري

فكيفَ أبيعُ هذا الفقرَ؟

مَن سيبيعُ آلِهةً لصانِعها الذِي آمَنْ؟

وماذا يعبدُ الفقراءُ بعد الشِّعرِ غيرَ الصَّبر؟

حِينَ كانَ الوقتُ أُنثَى

وأنا أُطِلُّ علَى بلادي مِن عيونِ حَبيبتي
ظهرتْ ليَ الأرضُ الرحيبةُ طفلةً
تَمشي مع الغُرباءِ مُمسِكةً بطرفِ ثِيابهمْ،
تَبكي إذا اشتاقُوا مَواطِنَهمْ
وتَضحكُ إن رَضَوْا بنبوءَةِ العَرَّافِ وابتسموا..
تَحارُ إذا استقرَّتْ في عيونِهمُ الدموعُ البِكْرُ
تَخشى أن يُشتِّتَها السقوطُ
فيُبصِرُ الغُرباءُ كيفَ تَفَرَّقُوا
فتَجفُّ حيثُ لهمْ أَطلَّتْ..
مِن عيونِ حبيبتي أَبكِي
وأَنسَى كيفَ أبكِي مِنْ عيونِي،
رُبَّما لأُجرِّبَ الحزنَ الذي يَغتالُ أُنثَى..

كيفَ يَدعوها إلى نهرِ الحبيبِ..
يَشدُّ جرَّتَها
لتَحْنيَ رأسَها
وترَى على الماءِ انكِسارَتها
ولَبْلابَ الدموعِ يَمرُّ في الخدَّينِ
يَصْعدُهُ المساءُ بِلا وداعٍ.. أو لقاءٍ،
حينَها
سيكونُ دَوري في البُكاءِ..
يقولُ لي قلبِي: اعتذِرْ..
فأُطِلُّ أكثرَ
من عيونِ حبيبَتي
وأرَى مَليًّا كيفَ تَعتذِرُ البَناتُ..!

أُطِلُّ
ثم أرى الحبيبةَ
كيفَ تُسقِطُ رِيشَها في قَلبِها
لأمُرَّ حينَ أَمرُّ

أشتَمُّ المَشاعِرَ دافِئةْ
وَرْقاءَ تَنثُرُ حَيثُما أمشي هَديلًا
كي يُجفِّفَ ما تَبقَّى في غِنائِي
مِن دم الزَيتونِ..
حينَ أُطلُّ تتسعُ العيونُ
تصيرُ أوسعَ _رُبما مِن رَحمةٍ_
فأرَى.. لأُبصِرَ
ما العِناقُ
وما الحياةُ بلا رفيقٍ..
كيفَ يمشي العشبُ
تحتَ خُطَى المحبِّ إلى الحبيبةِ
كيفَ تعتذرُ السماءُ
لعاشقينِ تفرَّقَا في الأَرضِ..
كيفَ أُطلُّ منها كَي أراها
لا أرَى إلَّايَ.. أَبكِي
كي تُطلَّ معِي الدموعُ،
تَصيرُني وأصيرُها

أزدادُ
تُسقطُني الحبيبةُ،
فارتَطمتُ أمام رِجليها
رَأتنِي..
فاستحالتْ عَينُها صحراءَ..
..ثم تَشرَّبَتنِي
كي أُطلَّ عليَّ من عينِ الحبيبةِ
بَعْدَ مَوتي.

ثَقْبٌ في ذاكرتي
لا يَكفي

أتذكَّرُ
لم يَكُنِ الزرعُ اسْتغفلَ جارَتَهُ الأرضَ
وأفقَدَها عُذريَّتها
وامتدَّ على أغصانِ خَطيئتهِ أجراسًا ومآذِنَ
لم تكنِ الأعشاشُ قد اختُرِعتْ بعدُ
لأن الأشجارَ جميعًا
كانت عصفورًا
حيثُ الأرضُ سماءٌ
والماءُ عناقيدٌ تَتدلَّى للأعلَى!

أتذكَّرُ أيضا
ظَلَّ النهرُ ابن سحابتهِ
حتى ابْتكرَا معًا الرِّحلةَ والمَرْكِبَ والشطَّينِ
فحَفَرَا بينهُما بَحرًا في الريحِ
تنامُ عليه الذكرَى جِسرًا وسَلالِمَ..
....
كانت شمسُ اللهِ فتاةً
تَفْرِشُ بالظِّلِ على أرصفةِ السوقِ
وتَكسبُ لُقْمتَها مِن عَرقِ جَبينِ الناسِ الجافِّ
لتَنعسَ راضيةً
فارِدَةً فوق القمرِ غَدائِرَها
ومُدلِّيةً صورتَها في ذاكرةِ الفلاحينَ حشائشَ وأرانبَ..

أتذكرُ كان غزالٌ يَجري في صحْراءِ صَبابتهِ
لما سَقطَتْ منهُ غَزالتُهُ
ضمَّدَها السَّهمُ:

أنا أعتذِرُ
لأن صديقي لم يُطلِقْني
إلا كي أَكسِرَ لكُما حَجَرًا
يَخبُو فيهِ العُشبُ

....
تذكَّرَ
ظلَّ يقول: أنا أتذكرُ
....أتذكرُ
ألَّفَ ذاكرةً
تَطلُعُ منها الشمسُ عليهِ
وأسماءً لا يُشْبهُها الناسُ
سوى بنتٍ لا تَنبشُ عَينَيهِ
لتُوقظَ صورةَ من تَركُوهُ
رمَى كَفَّيْهِ
بفَلسفةٍ قال لعَرَّافَتِهِ:
إنَّ المُستقبلَ وَلَدُ البارِحةِ

وإن الأيامَ مَرايا في وَجهِ مَرايا
لا أحتاجُ سوى ثَقْبٍ في حجْم فَراغي
أُطفئُ فيه التبغةَ
كي أحترقَ
وأَخرُجَ مِن فُتْحاتِ السَّقفِ
دُخَانًا في رِئَةِ الغيمةِ
تَعصرُني نِسيانًا فوق الدُنيا
حتى يُحْيِي الناسُ تَعارُفهَمْ في كلِّ لقاءٍ
لن يرحلَ أحدٌ كي يَنتظرَ سِواهُ
سأنتظرُ أنا
أكتبُ ذاكرتي
وأُدوِّنُها في ثَقْبِ دِماغي

أَهدمُ غُرفاتي في أَبْنِيَةِ الوقتِ
وأحرقُ حتى جَسدي
ما دامتْ تَعرفُني الكَدماتُ

وأُخْبرُ جَلَّادي
أن الشمسَ تُباغِتُني
مِن شُبَّاكِ مَنامي كلَّ مساءٍ
حتى يَعْدِمَ زُوَّارَ الليلِ
وأن رُطوبةَ سورِ الحبسِ
تُسرْسِبُ لي عَرَقَ الرُّفَقاءِ
ليَسألَهمْ عني ويَعُودَ إليَّ
فأشْنُقهُ
حتى لا أَعْرِفَ كُنْهِي
وأَظلَّ وحيدًا

أطفئُ في ذاكرتي التبغَ
وأَنْفُثُ في عَينيَّ دُخاني.

مِشنقة (٣

مَن يا صديقِي الليلَ
يَشربُ دمعَ مَنْ؟
تَبكي الوِسادةُ تحتَ رَأسي
والمَنامُ بلا رفيقٍ،
عنكبوتُ السَّقفِ يَحضنُ دَمعتي
ويُعاتِبُ الشُّباكَ:
كيفَ على أصابعِ بائعِ المِنديلِ
تُغْلِقُ دَرْفَتَيْك؟!

بائِعةُ الفَطير

صباحٌ،
والعنادِلُ تستريحُ من الغناءِ
وتَستتيبُ الشمسَ عن حرْقِ الطريقِ
ليعبُرَ النَّعناعُ في شاي المُحطِّبِ
نحوَ غابَته الحبيبةِ،
شارعُ الألوانِ يَتركُ في صبيٍّ
لا ابن عامٍ أو شهورٍ رُبّما عُنوانَهُ،
والفُلُّ يَسرحُ في إشاراتِ الحياةِ
يُوزِّعُ النظراتِ بين العاشقَيْنِ
السائِقَيْنِ لحيثُ مَقهًى واسعٍ كالحبِّ،
والأحلام سانحة
كفُسْتُقةٍ تُقَشِّر نفسَها للطيرِ....

هذا المشهد اكتمل الصباحُ بهِ.. فجِئتُ
كأنَّ قلبيَ أخضرٌ
لم يَختبرْهُ الحزنُ
لم يهطلْ عليه الراحلون من السماءِ
ولم يُعَكِّرْ ماءَهُ حَجَرُ التَذَكُّرِ..

مِثلما يأتي الصباحُ من السماءِ أتيتُ من أُمي
مُسَيَّجَةٌ عيونِي بالبراحِ
وفي يديَّ يمامةٌ حُبلَى بزيتونٍ وتِينٍ،
كان وَجهي آمنًا
ليَدُسَّ فيهِ أَبي مَلامِحَهُ
وكي تَمشي عليه الشمسُ حافيةً
تُكَشِّفُ للغمامِ عن البذورِ،
وكانَ في كَعبي طريقٌ حالمٌ في مِثل عُمري
يَبْتَدِي حمْلَ الخُطَى
وأنا عليهِ بدأتُ أَمشي،

لم يكُن للأرضِ أرصفةٌ
ولم تَكُنِ السماءُ تَغيبُ..
كانتْ للجميعِ!

نظَرتُ
لا أحدٌ سوى طفلٍ صغيرٍ
يَستريحُ بعينِ بائعةِ الفَطيرِ.. تقولُ:
في بلدي حملتُ فطيرتي شمسًا
ونَدَّيْتُ السماءَ بدمعتي
ولفَفْتُها فِيها،
قِطارُ الموت مُمتلئٌ بثوارٍ صغارٍ
كانَ يُعجبهم فَطيري،
كنتُ مِثلكَ
والصباحُ نَقَعْتُ فيه ضفائري وأنا صغيرةٌ
اختفتْ!
وتبدلَتْ بالرملِ والصبَّارِ،

يُعجبني صباحُكَ
غير أنَّ الليلَ يَلْبَسُهُ قميصًا ناعِمًا
أَخشى بأنكَ محضُ زِرٍّ فيهِ!
لا تأكلْ فطيري قبلَ هذا الليلِ،

نحنُ الآنَ ننتظرُ القطارَ
اركبْ وراقبْني.. أَبيعُ ولا أذوقُ
أوزِّعُ الشمسَ الأخيرةَ
ثم أَغرقُ في الظلالِ
أنا فطيرِي للذينَ يسافرونُ لأهلهمْ فوقَ السماءِ
فإن أكلتُ اشتقتُ
متُّ!

وبعدَ مَوتي
من سيخبزُ للذينَ سيَكبرون
ويفقدونَ صباحَهم مِثلكْ؟
ومَن يَبكي كما أبكي؟

نعوش الأرضِ مَرّت مِن هُنا
هَذِي المحطةُ قبل آدمَ شَيَّدتْ قضبانَها
وأنا هنا مِن قَبلِها.. والقمحُ مِن قَبلي
مَصيري أن أظل هُنا
أبيعُ ببَسمةٍ أو بسمَتيْنٍ فطيرةً،

لا تَبتسِمْ؛
أَكمِلْ صباحكَ يا صغيرُ
بكلِّ إنسانٍ مَحطتُهُ.. انْسَنِي
ستعودُ في ليلٍ قريبٍ حين يُجهدكَ المَسيرُ
أنا هُنا
قَمحي المَصيرُ
تذاكِرُ السّفرِ الفَطيرُ
وأنتَ يا طِفلي القِطار.

ابنَةُ الجَبَل

مَاذا على الأسماءِ
إلَّا أن تُعَرِّفَ حامِليها؟..
قالت الجَبَلِيَّةُ الشَّقراءُ قبلَ نُزُوحِها للنَّهرِ
تارِكَةً على عُنُقي أصابِعَها
الْتَقَيْتُ بها مُصادَفةً
ولم أَقْصِدْ شِكايَتَها لزِيرِ البَيْتِ
كَيْ تَأتي
وتَسْقِيَني سَحابَةَ عِطْرِها العَارِي،

أنا الولدُ الفَقِيرُ الظَّهْرِ
أَحْمِلُ صَخْرَةَ الأَلْماسِ لِلَّيلِ القَريبِ
لكي يُعِدَّ صَباحَهُ
ويَصُبَّهُ للمُعْتِمينَ..

يُضيئُني بَخْشِيشُهم
وأعودُ أدْراجي،
أسيرُ بِخُطْوَتَيْ نَعْناعةٍ عذراءَ

كي أُغْرِي ذُكُورَ الشَّايِ
بالفَورانِ من قَدَحِ الحراسةِ
ثُمَّ أجتازُ السِّياجَ
إلى خَسارةِ مِعْطَفٍ وَسِخٍ
وصُورةِ جَدَّةٍ مَكْلُومَةٍ
أَهْدَتْ لجُنْدِيٍّ وَسيمٍ عِقدَها الذَّهبيَّ
والْتَفتَتْ
لِصَرخةِ زَوْجِها المَشْنوقِ فِيهِ...

بِكُلِّ حالٍ
هكذا يَومي:
بسيطٌ مِثْلُ أيِّ قيامةٍ
يأتي بمَوعِدِهِ
يُجالسُني

ويَأكُلُني على مَهلٍ
ويَرحلُ!
....
أينَ كُنتُ؟
وكيفَ غالبَني النُّعاسُ
على سَريرٍ غَيرِ مَحْرَقَتي لأَسْمعَ صَوْتَها:
نامُوا على صَدْرِي الضَّئِيلِ،
فكُلُّ ضلعٍ فيهِ أمٌّ
لا تُحَفِّزُ طِفْلَها بحَمامةٍ مَذبوحَةٍ
حتى يَنامَ؟

أَفَقْتُ كالمَنْدُوهِ،
لا قَلبي على كَفِّي
ولا رُوحي بحَنْجَرتي كما كانتْ،
ولكنِّي شَعرْتُ..

هناكَ
حَيْثُ النَّهرُ يَنْصبُ فَخَّهُ للرّيحِ
مَدَّتْ شَعْرَها جِسْرًا
لتعبُرَ نسمةٌ نَحْوي
وتَحْمِلَني لضِفَّتِها..
لمَن عَيْناكَ؟.. قالتْ،
قلتُ: للجَبَلِ الذي أَلْقاكِ في دَرْبي..
وللشَّيطانِ
إن كُنتِ المَنامَ بلا وُضُوءٍ،
_ مَن تَكونُ؟
أنا الغَريبُ ابنُ الطَّريقِ،
وُلِدْتُ مِنْ ظَهْرِ الحجارةِ قبلَ تَصْنيعِ المكانِ
وكُلَّما خَفَّفْتُ ظَهْري
سَيْزَفَتْني الرّيحُ..
سَمِّيني بِما يُرْضِيكِ
إنّي الآنَ أُولدُ في يَدَيْكِ.

_ وأينَ كُنتَ؟
على سِياجِ الجَمْرِ صَوتيَ عالِقٌ
ودَمِي توَسَّدَ شاطِئَيْهِ الْيَمُّ
كفّي مُظلمٌ في جَيْبِ فِرْعَونٍ مُضيءِ الكفِّ،
والثعبانُ عند البَحرِ
يأكلُ مِن عَصَاي
مُفَرَّقٌ جسَدِي على التَّاريخِ،
لَكنّي أمامَكِ شِبْهُ مَوْجُودٍ
وإنْ لَمْ أَعْرِف اسْمي بَعْدُ..

قالتْ: خُذْ يَدِي واصْعَدْ
لنَبْحَثَ عَن أَبٍ لَكَ في الرِّمالِ
فَفِي الصَّحارِي
الكُلُّ أبناءُ الجِبالِ،

حَضْنتُها..

قَبَّلتُها،

هَمَّتْ..

هَمَمْتُ بِرُوحِها..

قالتْ:

أبي، احْمِلْني إلَيْكَ.

أجابَها صَوتي أنا!

فتَركتُها..

وسَتَرتُها..

وشَقَقْتُ صَدْرِيَ للحَرِيق.

نادِلانِ.. وسَكْرانُ واحد

النجمُ الليلةَ لا يُعجبني
فلْتَكن الحانةُ ليْلِي
والكاسَةُ نَجمي

هل وقَعَ النادِلُ في نفْسِ الحزنِ
فشاركَني هذا البارَ؟
إذًا سأُعدُّ شَرابينِ وأحكي
لا.. لن أحكي؛
لن يَنكفئَ الدمعُ على خدَّيْنا
كي تَمْنَعَنا سقْطَتُه مِن سَرْدٍ ما سيَطولُ
ولكنَّ الليلَ مَواويلُ المُنطَفئِينَ!
لمَن تترك كأسكَ يا صاحِ؟

_لبنتٍ سأُلاقيها عندَ الفَجرِ
ستَسكبُ خَمْرتَها فوقَ مَناديلي حتَّى يَسكرَ دمعي
ثم ستهربُ منهُ ومِني كي أستقبلَ شمسًا أُخرَى وَحْدِي.
!وكأنكَ تَعرفها
هي أيضًا تَشربني كلَّ مساءٍ ثُم تَغيبُ
ولكنّي لا ألقاها أبدا!
.....
دعْ عنكَ وقُلْ لي:
ما بالُ الحانةِ فارغةً!
هل لاقَى كلُّ النُّدْمانِ أَحِبَّتَهمْ هَذِي الليلةَ؟
_آاااهْ....
لا بأسَ، اشربْ
أو لا تشربْ.. فالليلُ طويلٌ
وأنا أحتاجُ رفيقًا يَحملني للبيتِ:
أنا أسكنُ قبلَ حبيبي بثلاثينَ لِقاء
في كُلِّ لقاءٍ كنتُ أشاركُ كُرْسِيَّيْنِ الطاوِلةَ
أنا نِصفُهُما والنِّصفُ الآخَرُ ليسَ حبيبي

هلْ تحفظُ تعريفًا آخرَ للمِيعادِ
سوَى صوتِ النَّادلِ:
(لم تطلُبْ شيئًا منذُ أتيتَ.. فغادِرْ
"أَبكي"
فيُرِبّتُ فَوقي بعدَ وُقُوفي:
من يأْتونَ فُرادَى للمَطعمِ
تَأكلُ أعينُهم مِن ساعاتِ الحائطِ
وأنا أَحمِلُ للناسِ الأكلَ
ولا أَحملُ للمَهجورينَ أَحِبَّتَهم
سامِحْني.. وارحلْ)

أرحلُ
وأعود إليكَ بدمعي
وكأني أعرفُ أعرفُ أنكَ مهجورٌ مِثلي
ولذلك لم تَطردْني أبدًا

لا بأسَ، الحزنُ الآن تأخَّرَ
فاسمح لي بالكأسِ سآخذُها للبيتِ
وداعًا.
(لم يَنظرْ لي)
فخرجتُ بِلا بالٍ أُلقي فيه مَلامحَهُ
وبلا أيِّ مَشاريعَ لعُمْري؛
قَلبي في جَيبي
وأنا في كأسٍ لن تَسقطَ مِني اليومَ،
وكم يُرضيني جدًا
أن يَتبقَّى مِني ما يَكفيني لليومِ التالي.. لا أَكثَر
ألَّا أشربَني كُلِّي اليومَ لأَغرقَ بي وأموتَ غدًا..
وكحالِ المُنسكِبين
أنا أتمنى ألا أَسقطَ خارجَ بَيتي
فالشارعُ ثوبٌ غجَريٌّ تَكْفيهِ البُقَعُ الأُخرى
لا ينتظرُ سقوطي كي يَتَّسِخَ.

أنا أهتزُّ الآنَ وهذا ما يَشغلُ كأسي:
أينَ ستَنكسرُ؟
ولا يَشغلُني إلا أن أحْملَها للطاولةِ
وأسقطَ وحْدي
دونَ أذًى لفتاةٍ أتأملُها في الخمرِ..
وأَبكي.

مِشنقة (٤)

هذا مَسائي
كلُّ شيءٍ ها هُنا يَحكيهِ لي
انسكبتْ فَتاتي فوقَ وجهِ الليلِ
فانطفأ النَّمَشْ
وأشارَ لي قمرٌ وقال:
ابتلَّ كِبريتي
فأشعِلْني بما حَرقتْهُ فيكَ الشمسُ..
ناوِلْني سَمارَك.

العَشاء

عيناها شفَتا قِيثارٍ
تنظرُ
فتراني مُوسيقى
يَهبطُ أو يعلُو إيقاعي
حَسَبَ سُدولِ الجفنِ
وطولِ الرمشِ
ونقرِ الدمعةِ فوقَ الخدِّ،

تُسامِرُني
والليل خَلاخِلُ
في أقدامِ سماءَيْنا
والريحُ مَسارِحُ تمتدُّ،

وقلبي راقصُ صَالْصا
يدعوها لعشاءٍ لَيْليّ
ليُدغْدِغَ قدمَيها إصبَعُهُ
من تحتِ الطَّاولةِ الحَمْراءِ،
ويَقْطعَ عن فَخذَيْها الفستانَ
ليَختبرَ نُعومتَها في الرَّقصِ
تقولُ لهُ: قبّلني،
فيقولُ لها:
عيناكِ على شفتيَّ أغانٍ وقصائدُ
كم قَبَّلْتُ رُموشكِ بالكلماتِ
وكم ضاجعْتُ دُموعكِ فوقَ مَناديلي
وأنا أقرأُ عَينَكِ مِنها..
كم قبَّلَكِ المُستمعونَ
ومَن حَفظوا عنِّي وَجعي،

قالت: أين أنا؟

فأجبتُ: مُقَسَّمةٌ

قِسْمةَ سُنبُلةٍ بين الطيرِ،

أُراقبكِ تُخبِّئُ عِطرَكِ أُمٌّ

في حَمَّالَةِ نَهْدَيْها

زَوْجًا لابْنتِها

ويُراوِدُ نهرٌ خَصرَكِ

عن سَيَلانِ أُنُوثتهِ

ويُفاوِضُ نجمٌ طَرْحَتَكِ

على شَعرِكِ

ويُداعِبُ كوبُ الشَّايِ السَّاخنِ ساقَيْكِ النعناعَ

ويَطلبُ كفَّكِ جَيْبُ الوِرْدةِ

مِن تَرْزِيِّ الغَابةِ.

قالتْ: فَرَّقَني حُبُّكَ،
قلتُ: أنا أَنْتَحِلُ الدنيا منذ أتيتِ
أنا الأسماءُ
أنا الأشياءُ..
ستائرُ بيتكِ شَعري
فُرْشاة الأسنان رمُوشي
حطبُ المدفأةِ خريفُ ضلوعي
مِرآتُكِ ضَيُّ العينينِ المُتبقِّي
ونَقانِقُ سَهْراتِكِ دَمعي....
دُنياكِ أنا..
فَرَّقتُكِ حتى أَتَّسعَ إليكَ
فلَم أَقدِرْ؛

قالت: جَمِّعْني الآن
لكي أتسعَ إليكَ أنا؛
سأُمِيتُكَ في رُوحي
كي ترتاحَ قليلا
دَهْرًا
أو دهْرينِ
أكون تَهَيَّأْتُ لأجْلِك..
أُوقِظُكَ بلُطفٍ من نَوْمَتِكَ
لكي تبدأ رَقصَتُنا.

النَّهر

غيمٌ.. أم مِشنَقَةٌ وتَعلَّقَتِ الدَّعواتُ البِيضُ بِها!
قمَرٌ.. أمْ منديل ألقته الشمس على دمعتها الليل وغابت!
شُبّاكٌ.. أم عينٌ جَفَّتْ في وجهِ الحائط!
أم يلتبسُ الحزنُ عليَّ؟

لأينَ تمر خلالِيَ أَوجُهُكمْ يا من باحُوا للنهرِ؟
وكيفَ عكستُمْ حسرتَكمْ في قاعي صدئِ الغرقَى
ومياهِيَ ريحٌ نيئةٌ سوَّاها الدهرُ على نَزْفٍ هادىءٍ؟
انتعلتني أشرعةٌ
شبحُ الرُّبَّانِ يُراوِدُها عن شطٍّ يدفِنُ فيهِ تميمتهُ الخشبيةَ
حتى تنبتَ في ذاكرةِ المجدافِ شُجَيرتُهُ الأولى..

تَحملُني بنتٌ في بئرِ ضَفيرتِها
وتُغازلُ بي قنينةَ جنديٍّ في الحربِ قَضَى ظماً
لم يتأوَّهْ؛
كان يقولُ لسِكّينٍ تعبُرُ سُترتَهُ:
آهٍ..
آهٍ من شَعْرٍ يَتدلَّى
ويشاركُ كفي فوقَ الخصرِ
برقصةِ فاتنةٍ كَحلاءِ الهُدْبِ
لها عينانِ كعَطْفِ الرَّبِّ
على الفُقَراءِ
لها شفتانِ
مُلوَّنتانِ بنورِ الشمسِ
ودمعِ العُشبِ....
وماتَ بلا وطن
إلا تلكَ النظرة!
وبلا موتٍ
إلا دمْع البنتِ.

لأينَ تمرُّ خلالِيَ أوْجهُكم يا مَن باحوا للنهرِ؟
ومَن عَلَّمَكم لُغةَ الماءِ؟
حَكيتُم عني للَّيلِ
ليَضربَني بالقمرِ على عيني.. فأراكُمْ..
وأرى حزنًا أعْمَقَ مني يَسْقي ذِكراكُمْ،
أبصرُ ما يَنويهِ الحزنُ
وأن دموعَ الناسِ بَريقُ نُيوبِهْ..
كيفَ يرانا الليلُ ويَكسونا بشحوبِهْ؟
يأخذني عَرَقًا
في جُرحِ يَمامةْ
وحديثَ حريقٍ
عن صمتِ غَمامَةْ..
يَمشي فيكُم نهرًا أكثرَ مَوتًا مني
يُغريني بالقفزِ إليكمْ
لأموتَ الموتَ الكاملَ،
كلُّ الغَرقَى فيَّ يَرَوْنَ
يُحسُّونَ

يَبوحونَ
وتُوقِظُني دمعتُهم ْفي الليلِ لتَسألَنِي عَمَّا اقترفتْهُ!
لأين تَمُرُّ خِلاليَ أوجُهُكم؟
وأنا
وجْهي أينَ يمر _إذا أضناني الحزن_ لمَوْتَتِهِ؟
كيف أُخلِّصُ نفْسي إن لم أغرقْ فيكمْ؟
كيف أخلِّصُها إن أغرَقْتم أنفسَكم فيّ؟
أينَ نمرُّ معًا للموتِ الكاملِ؟
كمْ

يَلْتَبِسُ الموتُ عليّ!.

شمسٌ تُصَلِّي العِشاء

هوتْ دَمعتي
يا صغيرةُ في كَفِّ غيركِ
فاستفردَ الحزنُ بي..
وتَضاءَلَ كَوني على صرختي
فانحبستُ
أنا والصدى في شِفاهيَ..
لا أنكرتْ عينُكِ اسمي
ولا عانقَتْهُ!
كأنّا غريبانِ عن حزنِنا
أو كأنَّا
حزينانِ حُزنَ الغريبينَ عَنَّا..

أحبكِ؟

لا..

بل أموت

وصادفَني الموتُ عندَ الْتقائِكِ

أجَّلَني

كي يزورَكِ فيَّ..

أحبك؟

لا..

بل يحبكِ موتي،

ولستُ سوى رحلةٍ

يحرس اثنانِ فيها الضَّياعَ

إلى أن يعودَ إلى أُمِّهِ..

هل أحبكِ؟

أسكبُ في البحرِ عِرْقيَ؛

لا وجعٌ يشربُ الملحُ فيه دمائيَ

ما دُمتِ في البالِ،
أرسمُ ثغرِكِ فوقَ الجدارِ
وأشربُ أَحْمرَهُ في جُروحيَ..
أجَّرَني الحَرُّ آنيةً مِن نَدًى لنُهودِكِ
واستقبلَتْ في فَمي الريحُ سِربَ غنائكِ،
بين يديكِ
أرى الشمسَ يا قِطَّتي كُرةً
فارْكُليها إليَّ.. وقولي:
أحبكِ؟
....
من أنتِ؟
ماذا رأى النَّجمُ فيكِ
ليحسبَ شَعْرَكَ لَيلًا طويلًا؟
وماذا هدَى الشمسَ في مُقلتيكِ
وأقنعَها أن تُصَلّي العشاءَ.. وتَبكي؟

لماذا على بابِ ليلكِ
يحرسُ ذئبٌ قميصَكِ من حارِسِيهِ
ويعزف بالبئرِ نايًا....؟
أحبكِ؟
من أنتِ؟
ماذا تكونينَ؟

صوتُكِ في الأرضِ أم في القصيدِ؟
أسيرُ إليكِ بأقدامِ غيري:
جُفوني تُقِلُّ دموعَ الغريبِ
وقلبي يُقلُّ ضلوعَ الغريبِ
وجسمي يُقلُّ ثِيابَ الغريبِ
وخَمري غريبٌ يُرَنِّحُ غيري
وخمرُ الغريبِ يُرنِّحُني في عيونِ الغريبِ....!
فما أنتِ
كي يتبرأَ مِني الجميعُ لأجْلكِ؟

مَن هُم؟
أنا كنتُ أَعرفُهم
كيف لم يَعرفوني؟
كأني أسافرُ منذُ الطفولةِ خلفَ سؤاليَ!
لم أنتبهْ كم سقطْتُ من الناسِ
كم سقطَ الناسُ مِني
وأيَّ طريق ستَلفِظُني لسِواها!

مَشيتُ كثيرًا
إلى حيثُ لا ريحَ كي أتهَجَّى ضَياعي
وأَذكرُ عندَ الهلاكِ
بأني ضحيةُ عاصفةٍ أو شِراعِ..
أنا سرتُ وحْدي إليكِ
بلا موعدٍ أو شعورٍ تِجاهَكِ
لكنَّهم حدَّثوني عن الحُبِّ

قالوا كثيرًا
بأن بلادَ المُحبّينَ أَرْحبُ..
إنَّ أراضي المُحبينَ أَخصبُ..
إنَّ المحبينَ لا يلتقونَ
سوَى في بلادكِ..
سرتُ أُغَنّي:

خُذينيَ حيثُ بلادُكِ
فالحزنُ في بَلدتي لا يَموتْ
لأنكِ يا حُلوتي تَرقُصين كعُشٍّ
على غُصنِ توتْ
أَطيرُ إليكِ
بلا رِيشةٍ غيرِ قلبي..
وإن شَرَّدَتني حروبُ بلادي
أقول بأنكِ صالحةٌ لانْدلاعِ البيوت.

مِشنقة (٥)

تَمشي وتَنْتَحِلُ الحياةَ
تموتُ
ثم تُحِبُّ
تَحيا
ثم تُتْرَكُ..
كي تَموتَ
تَعودُ
تبحثُ في الصّبايا عن ملامِحها
وتَكسِرُهنّ إن ظهرتْ
تَحِنُّ مجددا للموت حين تَغيبُ
تَرجعُ
حيث أَسقطْتَ المَماتَ على الطريقِ
تراهُ مُنتظِرًا.. ومُبتسِمًا

فتصرخُ قائِلًا:
حيّرْتَني يا موت
آهْ.. يا ليتَها انتظرتْ كما تَفعلْ!
وآهْ.. يا ليتَها ابتسمتْ كما تَفعلْ!
وآهْ..
يا ليتَها يا موتُ أنت!

أُنشودةُ الأرضِ الضائِعةِ

أَتساقَطُ مِن بين ذِراعيْكِ كحضنٍ
يُجهدُ صَدرَكِ بَعدَهْ،
خَلِّيني يا بِنتُ إذًا بالقُربِ
أُصاحِبُ خَطوكِ فوقَ العُشبِ
كوَحيِ ندًى
يتعقَّبُ وَردةْ
وأمرُّ على شفتيْكِ كبَلَّةِ ريقٍ
تتبعُ نَهدَةْ،
أندسُّ بشَعركِ تحتَ الليلِ
أسرّحُ وَحشَتهُ
وأُصفِّفُ رَعدَهْ،
أو أُنسَى في أَكمامكِ بينَ الدمعِ أعاتبُهُ: مِن أينَ تجيءُ؟

يقولُ: أنا آتٍ
مِن بنتٍ طاهرةٍ تُشبِهُ سَجدةْ
هيَ خَجلَى مثلُ البحرِ
إذا غَمَزَتْهُ الشمسُ بقوسِ قُزَحْ..
ومُشاغِبةٌ كالدعوةِ حين تغيبُ
ودافِئةٌ كسلامِ اللهِ
على مِسكِينٍ فوقَ رصيفْ،
وهي النَّاضجةُ من الأقمارِ
على أغصانِ الرّيفْ..
تشتركُ مع الموسيقَى
في تَرتيبِ شؤونِ الرُّوحْ
وتمرُّ مع العصفورةِ
حين تُواعِدُ رِزقًا فوق الريحْ..
تتحدّى نَصْلَ الوقتِ
وتكسِرُ سكينَ الدّنيا
وتموتُ بغيرِ جروحْ
تُبعثُ وتقولُ: متى سنُحبُّ؟

أقولُ:
أنا سأحبكِ في أرضٍ تُشْبِهُنا،
فالزّرعُ هنا
يخشَى إسقاطَ البَذرةِ
في شَقٍّ
يأكلُ ثعبانٌ فيه النّهْرْ..
والشمسُ هُنا جاثيةٌ
تَغسلُ رِجْلَ العَتْمَةِ
في دمعتِها البِكْرْ..
وحَمامُ البُرجِ
يخافُ على بَطنِ الأطفالِ
من الصبحِ المَعروضِ على أَرصفةِ الشارِعْ..
سأُحبكِ
لكنّ الأرضَ تَضيقُ
فكيف سنرقصُ باسمِ الحُبِّ الواسعْ؟
كيف سنَتّخِذُ العِطرَ طريقًا
والخُطواتُ مَحاضِرُ جاهزةٌ للوَردِ؟

وكيف نُحرّرُ دمعتَنا
وتجاعيدي سجنٌ يأكلُ مِن خَدّي؟
مُوتِي إن شِئتِ
أنا سأظلُّ هُنا أَبكي:

خَفَرٌ يا ربُّ على قلبي
يا ربُّ
وتحتَ القلبِ خَفَرْ
معصوبَ اللحنِ أدورُ أدورُ
وأَنزفُ في الدائرةِ وَتَرْ
وتقول البِنتُ: الرقصَ الرقصَ
أقولُ: على الإيقاعِ حُفَرْ
فتقولُ: رأيتُ الموتَ.. وأنتَ؟
أقولُ: معي للموتِ صُوَرْ
فتقولُ: الموتَ.. الموتَ معِي

فأقولُ: أنا شَبَحي أصلًا
وقُتِلتُ هَدَرْ؛
البَدرُ شَبحْ
والشمسُ شبحْ
والأرضُ مكانٌ للأشباحِ
وليسَ بِها للأرضِ أَثَرْ.

أغنية على الجسر

هم من اقترحوا الأرضَ منفًى
فقلت: احملوا ما استطعتم
من الحلم والهذيان.. وغنوا
لكيلا يمل الطريق وظيفته:
ربما ثار يومًا
وقرر أن يتمشى بعيدًا عن الراحلين.. فغنوا
لكيلا يخون الرحيلُ الوصولَ.. وغنوا
لكيلا يكون الوصولُ رحيلا.
إذا اشتقتمُ المَنزلَ
ابتكِروا موطنًا
أينما شاءت الريح أن تنزلوا..
فالرجوع تأجلَّ
والقاطرات استقالت من الوقتِ.

سموا المنافي رجوعًا.. وغنوا
ففي الأرض متسعٌ للعصافير
أن تتهجى شجيراتِها من جديدٍ
وللغيم أن ينتقي للشجيرات نهرًا جديدًا
وللنهر أن يتفتحَ في الورد
أو في الحريق.. فغنوا
...

هنا أو هناك ابدأُوا
فالزمان يدور على كل أرض
وفي كل أرض زمانٌ قديمُ البداياتِ
لم يسأل الوقتُ: كم مرَّ منه
وكم يتبقى
وهل يشرب الليل شمسكمُ
ثم يبصقها فوقكم في الصباح
لماذا إذًا يلمع النور
إن لم يكن بصقةً!
هل كرهْنا المساءَ فنِمناه

هل خاف أن يحرق الصبحُ زرعتَكم
فأسال لها ريقَه غيمةً من نَدى
هل ظلمناه حقا!
إذًا صالِحوه
وألقوا السلام عليه.. وغنوا

صباحُ المساءِ الغروبُ
مساء الصباح الغروبُ
إذًا نحن جسرٌ
وللوقت أن يعبر الناسَ في أي وقت
لنا نحن أن نتهجّى الحياة على أي أرض
وفي أي منفى..
نسافر في كل شبر ونترك زرعاتِنا
ونقول: صباحٌ هنا
أو صباح هناك على ما تَرَكْنا..
لنا وفقط أن نقول: اصْطَبَحْنا
وليس لنا أن نقرر من أين يأتي الصباح.

التُّفاحةُ الثانِية

على لَيْلَينِ
أن يَتقابلا
وعلى صباحٍ
أن يُؤجِّلَ شَمْسَهُ مرَّةْ

على الخيَّالِ
أن يَجري لغَفْوَتِهِ
ليَكْبُو المُهْرُ
بينَ سَواعِدِ المُهْرَةْ

على الفلَّاحِ
ألَّا يَرْتَدي فأسًا لحَيَّتِهِ
لتَقْبلَ وَرْدَهُ الحُفْرَةْ

وألا يَجْلِبَ الدَّرويشَ للجُمَّيْزِ
فالجِنِّيُّ
يَنْوي السَّعْيَ للحَضْرَةْ

على الضوءِ الذي انكسرتْ لهُ المرآةُ
كي تَلقاهُ
أن يَتزوَّجَ الكِسْرَةْ

وأن يُخفي جُفونَ العاكِسينَ لها
ليَهزِمَ فكرة البِروازِ
في الحُرَّةْ

على شيئَين
أن يتقابلا
حتى
ولو كان التلاقي نَفْسُهُ فِكرةْ

كأن الكونَ درْبٌ بين قلبِ اثنينِ يقتربانِ
ثـنَّـتْ واحدًا حُفرةْ

هوَتْ عن أصلِها الأسماءُ
لا أحدٌ يُلاقى
كي يقول: أحبُّ أو
أكرهْ

فكانت كُلّما ألقتْ فتاةٌ دمعةً للنهرِ
ظنَّ بأنَّها جَرَّةْ

وحينَ رأى دماءَ الخَدِّ
أقسمَ أنه وَردٌ
وأن الروحَ مُخْضَرَّةْ

كأن طبيعةَ الأشياءِ ناقصةٌ
يدٌ مُدَّتْ
وقَصَّتْها من الفِطرةْ

كأن يدًا تخلتْ عن مَبادئِها
بلا سببٍ
ليذبحَ خِنجرٌ (عَمْرَه)

يدًا أُخرى
ستَزرع جمرةَ الدنيا
بلا ماءٍ
ولا طينٍ
ولا بذرةْ

المشنقةُ الأخير

يأتي غَدٌ ويَصيحُ:
مُوتوا في طريقٍ لا توَصِّلكم إليَّ..
أنا حزينٌ مُظلِمٌ
وزمانُكم ذِكرى
أراها مِن هنا بيضاءَ،
مُوتوا حيثُ أنتمْ..
ها هنا الأحلامُ تأكلُ حامِليها..
الجوعُ عِندي كافِرٌ..
وجَهنمِيٌّ مُزمِنٌ،
لا ربَّ في أفُقي
ولا خطباء في عَلَمي
سوى سيْفَينِ يَنغرِسانِ في عُنقِ الهواءِ،

فلا تنفُّسَ.. لا طيورَ..
ولا منابرَ للشموسِ على السَّماء.
الأرضُ مُظلمة لديكمْ
أَكمِلوا الدورانَ فيها
دون أن تَأتوا الظلامَ هنا..

لن أستطيعَ عِناقَكمْ
أو.. لا سبيلَ لأن أُبَدِّلَ ذلكَ الشيطانَ في صَدري بِكُمْ..
قلبي لديكُم
نائمٌ في حِجْرِ من سَمعوا نِدائي واسْتجابوا،
فاخْلُدوا للموتِ فيه بِرَبِّكمْ..
أَوْصيتُكمْ..
وستُنكرونَ وَصِيَّتي!
وستَحلُمونَ
مع الأسَف.

فهرس

إهداء	٥
رجلٌ مهجورٌ.. وزائرٌ أخير	٩
ارْتِطام	١٣
بَعْث	١٩
الزَّيت	٢١
مشنقة (١)	٢٣
الرحلةُ ذاتُها والمُسافِرُ آخَر	٢٥
رَقْصة	٢٩
زَهرةُ الثَّلج	٣٣
مِشنقة (٢)	٤٣
الدائرة	٤٥
حِينَ كانَ الوقتُ أُنثَى	٥١

ثَقْبٌ في ذاكرتي لا يَكفي	٥٥
مِشنقة (٣)	٦١
بائِعةُ الفَطير	٦٣
ابنَةُ الجَبَل	٦٩
نادِلانِ.. وسَكْرانُ واحد	٧٥
مِشنقة (٤)	٨١
العَشاء	٨٣
النَّهر	٨٩
شمسٌ تُصَلِّي العِشاء	٩٣
مِشنقة (٥)	٩٩
أُنشودةُ الأرضِ الضائِعةِ	١٠١
أغنية على الجسر	١٠٧
التُّفاحةُ الثانِية	١١١
المشنقةُ الأخيرة	١١٥

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution